أبو طالب..
مؤمن بإستحقاق

تأليف
الدكتور علي الحدّاد

دار المحجّة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أبو طالب عليه السلام

مؤمنٌ باستحقاق


بسم الله الرحمن الرحيم

أبو طالبُ عليه السلام

مؤمنُ باستحقاق

الدكتور

علي الحدّاد

دار المحجّة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الحمد لله بما حمد الله به نفسه،

وبما حمد الله به عرشه وكرسيه ومن تحته



مقدمة الكتاب

ولا إله إلا الله بما هلل الله به نفسه، وبما هلل الله به سماواته وأرضه، وسبحان الله بما سبح الله به خلقه. وصلى الله على رسوله محمد بن عبد الله الصادق الأمين، صلاة تبلغنا بها رضوانك وجنتك، وننجو بها من سخطك والنار، وصلى الله وسلم على آله المصطفين الأبرار، والمتقين الأخيار الذين أوجبت حقوقهم، وفرضت طاعتهم وولايتهم، والذين خصصتهم بأفضل قسم الفضائل، وبلغتهم أفضل السؤدد ومحل المكرمين، وخصصتهم بالذكر المحمود والحوض المورود. اللهم أوردنا حوضه، واسقنا كأسه، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين، ولا شاكين، ولا مبدلين، ولا ناكثين، ولا مرتابين، ولا جاحدين، ولا

مفتونين، ولا ضالين، ولا مضلين، قد رضينا الثواب وأمنا العقاب نزلاً من عندك إنك أنت العزيز الوهاب.

السلام عليك يا كافل محمد خاتم النبيين ﷺ، ويا والد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويا من ظهرت شفقته على رسول الله ﷺ، ويا من اجتهد في تربية رسول الله. أشهد أنك أحسنت الكفالة، وأديت الأمانة، واجتهدت في مرضاة الله، وبالغت في حفظ رسول الله، عارفاً بحقه، مؤمناً بصدقه، معترفاً بنبوته، مستبصراً بنعمته، كافلاً بتربيته، مشفقاً على نفسه، واقف على خدمته، ومختاراً رضاه، ومؤثراً هواه. وأشهد أنك مضيت على الإيمان، والتمسك بأشرف الأديان، راض مرضى، وطاهر زكي، وورع تقي، فرضى الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة مثواك، ومنزلك ومأواك.

إنها صفحات ناصعة ومشرقة من السيرة العطرة لمؤمن قريش «**أبي طالب**» عليه السلام، عم رسول الله ﷺ، الذي ما إن بعث الرسول ﷺ إلى البشرية هادياً ومبشراً ونذيراً حتى صدقه أبو طالب عليه السلام، وآمن بما جاء به من عند الله، ولكنه لم يظهر

إيمانه تمام الإظهار، بل كتمه حتى يتمكن من القيام بنصرة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه، ووالد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. أنثر عبقها، وأضمخ أفئدة المتعطشين لمعرفة هذه الحقيقة بسحر وطراوة ندها وعطرها، لكي يعرفوا خصال وسمات هذا الرجل العظيم، ويزنوا إيمانه وتقواه، لترجح كفة ذوده وذبه ودفاعه عن رسول الله ﷺ في سجل إيمانه وشرفه، وطاعته وعبادته. إنه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم المكنى بأبو طالب. فقد ناصبه القوم العداء بغضاً وحنقاً وعداوة لابنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ لم يجدوا خلة أو ثغرة أو منقصة في علي عليه السلام فوسموه في أبيه، افتراءً وبهتاناً وزوراً كما فعلوا بأبنائه وذريته من بعده، فشب عليها الصغير، وهرم عليها الشيخ الكبير، فكفروه، وأخرجوه من دين آبائه، وادعوا بأنه مات كافراً، وروجوا لهذه الفرية، ورسخوها في أذهان وأدمغة البسطاء، والسذج، حتى أصبحت عقيدة ودين، ومذهب ومبدأ، يتمسكون بها، ويقاتلون من أجل تثبيتها وترسيخها، فصدقوا بها واستيقنتها أنفسهم.

فها أنا ذا بإذن الله وبإذن رسوله ﷺ، أروم الحقيقة من خلال هذا الخطاب المتواضع، لأدحض هذه الحجة الواهية، وأفرى هذه الفرية الخبيثة وأكذبها، بأسلوب راق وحضاري من الحوار البناء المتماسك، تبياناً للحقيقة الواضحة كالشمس في رابعة النهار، وكشفها، وإزالة الشك والرين والغموض في إسلام وإيمان أبو طالب عليه السلام، وإثبات حقيقة إيمانه وورعه وتقواه بالأدلة القطعية، والثوابت الدامغة، والشواهد اللامعة والأنوار الساطعة. وهكذا أحبتي أردت من خلال هذا الطرح أن أبعث برسالة واضحة وجلية، مؤداها أنه علينا أن نصون حرمة المؤمن، ونترفع ونتوقف عن التجريح والإهانة والغمز والهمز واللمز، فضلاً عن أن الشخصية التي نتحدث عنها شخصية عظيمة، قامت بواجبها اتجاه رسول الله ﷺ وعاضدته وساندته في نشر الرسالة المحمدية.

محمد ﷺ أعطانا درساً عظيماً في هذا الجانب، عندما ترفق بأهل حاتم الطائي وهو كافر، حيث قال لابنته عندما جاؤوا بسفانة والنساء ووضعوهن في مكان معين، فخرج النبي ﷺ من المسجد ماضياً إلى حاجة له، فقامت له سفانة

بنت حاتم الطائي، وقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، وأنا ابنة سيد قوم، قد كان أبي يقري الضيف، وينصر المظلوم، ويعين الضعيف، فأحسن إليّ. فالتفت النبي ﷺ وقال: «**هذه صفات مؤمن يعني أنه سيد الناس، ويقري الضيف، وينصر المظلوم، هذه صفة مؤمن**» فسألها: عن أبيها فقالت: أنا ابنة حاتم الطائي، فسأل عن مرادها بالوافد، فقالت: عدي بن حاتم. فقال: «**الفار من الله ورسوله ليس رجلاً يقف فيحارب أو يسلم**». فقال النبي ﷺ: «**لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه**». ثم سكت النبي ﷺ ومضى، فلما خرج إلى الصلاة، التي بعدها، فقامت سفانة وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، وأبي كان سيد قومه، وأعادت نفس كلامها، فظن النبي امرأة أخرى، فقال: «**من وافدك**»، قالت: عدي بن حاتم. لقد كانت جريئة فقال النبي: مرة أخرى: «**الفار من الله ورسوله**»، ثم ذهب فلما كان اليوم الثالث، لم تقم وكان وراء النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأشار إليها أن قومي، فقامت، وأعادت نفس كلامها، وكان النبي ﷺ لا يسأل الشيء ثلاث مرات إلا أعطاه إياه لطالبه، ولقد كان يخجل ﷺ.

وأن النبي ﷺ إذا طولب ثلاث مرات فإنه سيوافق فقامت مرة أخرى فقالت مثل الأيام الماضية فسألها عن وافدها ثم قال لها: «**أحسنا إليك إذا رأيت قافلة ذاهبة إلى طيء فأخبريني نبعثك معهم ولك وإلا ترجع كما قال تعالى:** ﴿...ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾» وبعد أيام قالت: يا رسول الله هنا قافلة من قومي سيذهبون إلى بلادنا فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وأعطاها بعيراً وأعطاها زاداً ومالاً وأحسن عليها أحسن إحسان وهي بنت أعدائه الذين فروا إلى الروم. ومع مشركي قريش وعلى رأسهم أبو سفيان الذين حاربوا رسول الله ﷺ وناصبوه العداء وأذاقوا المسلمين ألوان التعذيب والتنكيل، وعندما نصر الله رسوله ﷺ لم ينكلوا بهم ولم يؤذوهم، بل قال لهم رسول الله ﷺ «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، ولم يقل لهم أنتم كافرون ولم يلمزهم أو يغمزهم، وهو يعلم ﷺ بأنهم ما آمنوا قط، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم وأفئدتهم وأجوفتهم طرفة عين، مع ذلك قبلهم.

فأحسب أن القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب، ولأن لهم مأرباً في آباء

المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا، أو أن لهم غاية في إسلام أبو سفيان، لكنهم زمروا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصدية من تكفير سيد الأباطيح َشيخ الأئمة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقيعة في الولد فوجهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين.



حياته عليه السلام

هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، وكنيته (أبو طالب)، ولقب «بمؤمن قريش»، وينادونه بـ «سيد البطحاء» و«شيخ قريش» و«رئيس مكة». وقد ولد قبل مولد النبي محمد صلى الله عليه وآله، بخمس وثلاثين سنة. وتزوج أبو طالب عليه السلام فاطمة بنت أسد عليها السلام، وهو أول هاشمي يتزوج بهاشمية من قريش. فولدت له أكبر أبنائه من الذكور (طالب) وبه يكنى، و(عقيل)، و(جعفر)، و(علي) عليه السلام، ومن الإناث (أم هاني) واسمها (فاخته)، و(جمانة). وكانت فاطمة بنت أسد عليها السلام بمنزلة الأم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ربى النبي صلى الله عليه وآله في حجرها، وكان يناديها بأمه، إذ كانت تفضله على أولادها في البر، وكان لأبي طالب زوجات أخريات غير (فاطمة بنت أسد) كما أورده البعض.

مات أخوه عبد الله بن عبد المطلب، والنبي محمد ﷺ جنين في بطن أمه، وحينما ولد ﷺ كفله جده عبد المطلب رضوان الله عليه. ولما حضرت عبد المطلب الوفاة، أوصى ولده أبو طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته وكفالته، إذ كان عمره الشريف ﷺ حينذاك ثماني سنين، فكفله أبو طالب ورباه وقام برعايته على أتم وجه. وكان أبو طالب يحب النبي حباً شديداً، وفي بعض الأحيان إذا رأى النبي ﷺ يبكي ويقول، (إذا رأيته ذكرت أخي عبد الله، إذ كان عبد الله أخيه لأبويه). ولما بعث النبي محمد ﷺ إلى البشرية منذراً ومبشراً بالدين الجديد (وهو الإسلام) صدقه أبو طالب عليه السلام، وآمن بما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى، ولكنه لم يظهر إيمانه تمام الإظهار، بل كتمه لأسباب أمنية، واجتماعية كما نطلق عليها اليوم بالمصطلح الحديث، وذلك حتى يتمكن من القيام بنصرته والذود والدفاع عنه، وعن من أسلم معه. لم يكن يعبد الأصنام، بل كان يعبد الله سبحانه وتعالى ويقدسه، ويوحّده على الدين القويم، الحنيف الذي جاء به سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف التسليم.

وخير دليل على هذه الحقيقة الناصعة التي للأسف لم يرضى بها البعض من المسلمين، هي خطبته العصماء التي ألقاها عندما تقدم يطلب يد أم المؤمنين خديجة ابنة خويلد سلام الله عليها لابن أخيه محمد بن عبد الله ﷺ قبل المبعث الشريف بخمسة عشر عاماً. وقد صرح أبو طالب عما كان يجول في خاطره، ويختمر في دماغه، وفي قرارة نفسه، وما يؤمن به في شعره ونثره الكثير، والتي جادت بها قريحته وهو الإقرار بالدين الحنيف، دين آبائه منذ أن خلق الله آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام إلى أن جاء دور نبينا محمد ﷺ، والتصديق برسالة محمد ﷺ وبحقيقة وواقع هذا الدين. ومن ذلك الشعر الذي دلَ على إيمانه وعقيدته، وحبه لمحمد ﷺ ومناصرته ومؤازرته هو:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ما عليك مخافة وابشر بذلك وقرّ منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

عوضاً عن الأحاديث والروايات المتواترة التي وردت عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين الميامين في شأن إيمانه وتقواه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: **«وصلتك رحم وجزيت خيراً ياعم، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ووازرت ونصرت كبيراً»**

٢ ـ روي أن عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام سُئل عن هذا الأمر وهو إيمان أبو طالب عليه السلام، فقال «واعجباه»، إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد عليها السلام من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات» (شرح نهج البلاغة ٣/٣١٢).

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: **«نزل عليّ جبرائيل عليه السلام فقال: إن الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»** (رواه القاضي الشوكاني ـ المصدر: شرح نهج البلاغه ١٤/١٦ ط).

٤ ـ سئل الإمام الباقر عليه السلام، عما يقوله الناس، أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه. ثم قال عليه السلام: «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله، وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم» (شرح نهج البلاغه ٣/٣١١).

٥ ـ روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن أصحاب الكهف أسرَو الإيمان وأظهروا الكفر، فأتاهم الله اجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين**» (شرح نهج البلاغه ٣/٣١١).

٦ ـ كتب أبان بن محمود إلى علي بن موسى عليه السلام «جعلت فداك، إني قد شككت في إسلام أبي طالب؟ فكتب إليه عليه السلام: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. «وبعدها إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك النار» (الغدير ٧/٣٨١)

وخلال المرحلة السرية للدعوة، كثرت الإشاعات عن بشائر النبوة والرسالة والكتاب، وكثر الاهتمام بشخصية محمد بن عبد الله ﷺ واختلطت الأمور على بطون قريش، وزاد فضولها للوقوف على حقيقه الرجل، وحقيقه الإشاعات التي تنشر من حوله بذلك الوقت، وبالذات تلقى النبي أمراً إلهياً بإعلان دعوته، ويبدو جلياً من التسلسل المنطقي للأمور، أن النبي قد جمع الهاشميين في بيته أولاً، وأطلعهم على حقيقة النبأ العظيم، وأنه ـ وبأمر من ربه ـ عين في هذا الاجتماع ولي عهده، والإمام من بعده، وانتهى الاجتماع بقرار البيت الهاشمي بحماية النبي وعدم تسليمه، وأعلن هذا القرار (عميد البيت الهاشمي) عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب. واجتماع الهاشميين في بيت النبي لم يكن خافياً على بطون قريش المشبعة بالفضول للوقوف على حقيقة محمد ﷺ. ومن الطبيعي ان وقائع الاجتماع، انتشرت وشاعت بعد سويعات من انفضاضه، وهكذا وقفت بطون قريش على حقيقة ومجمل النبا. وهذا شاهد آخر لصلابة أبي طالب في وقوفه أمام عتاة قريش ومردتهم وجهالهم في إظهار الدعم المطلق للنبي محمد ﷺ في دعوته ورسالته.

وكان من تهويلهم في تخفيف تلكم الوطأة، أن جروا ذلك حتى إلى والدي النبي الأكرم ﷺ، (واخزياه لهذا الهول والتشنيع)، حتى قال العاصمي في (زين الفتى) عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرتضى صلى الله عليهما وآلهما: أما تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية، فإن النبي في كثرة ما أنعم الله تعالى عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه، وعلى هذا جمهور المسلمين إلا شرذمة قليلين لا يلتفت إليهم، فكذلك المرتضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والأفعال لم يرزقه إسلام أبويه. فلم تفتأ هلم في ذلك جلبة ولغط مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالته لصاحب الرسالة، ودرئه عنه كل سوء وعادية، وهتافه بدينه القويم، وخضوعه لناموسه الإلهي في قوله وفعله وشعره ونثره، ودفاعه عنه بكل ما يملكه من حول وطول.

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمرٍ وأودى فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعد ما قضى ما قضاه وأبقى شماما

فلله ذا فاتحاً للهدى ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إياب الصباح من ظن ضوء النهار الظلاما

هذا غيض من فيض من فيوضات أبو طالب عليه السلام، الذي ما فتئ يبذل النفس والنفيس، وما تملك يداه، ويضع الأرواح على الأكف من أجل إقامة هذا الدين واكتماله، جنباً إلى جنب مع ابن أخيه النبي محمد صلى الله عليه وآله. ولا نتصور هنا أن الطريق معبد، أو مفروش بالورد والرياحين، أنه طريق ذات الشوكة، مليئ بالحصى والشوك، فيه جمر ونار، يحتاج إلى تحضيات جسام، وكفاح مرير، وصمود وبسالة، وصبر ويقين. كل هذا تجشم عناه أبو طالب، ومات دونه. هذا هو أبو طالب عليه السلام سيد الأباطح الذي ما ناء به من عمل بار وسعي مشكور في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وكلاءته والذّبِّ عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير، وقد تخلل ذلك جمل من القول كلها نصوص على إسلامه الصحيح، وإيمانه الخالص، وخضوعه للرسالة الإلهية. روى القوم:

١ ـ قال ابن إسحاق: إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير، هب له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم لي؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً. قال: فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وتهيأ راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب، إليه يصير علمهم من كتاب فيهم، كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله ﷺ من بين القوم.

ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة وتهصرت، يعني تدلت أغصانها على رسول الله ﷺ فاستظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل

من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لذلك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقولون، ولكنكم ضيوف فأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة.

فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، فقالوا: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنًّا تخلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش: واللات والعزى أن لهذا اليوم نبأ.

أيليق أن يتخلف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا؟ ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم. فلما رآه

بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه. قال رسول الله ﷺ: «**لا تسلني باللآت والعزى شيئاً قط**»، فقال بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. فقال: «**سلني عما بدا لك**». فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيئته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. الحديث.



شعر أبو طالب عليه السلام في مدح النبي محمد صلى الله عليه وآله والدعوة للدين الإسلامي

أما أقوال أبي طالب عليه السلام، فإليك عقوداً عسجدية من شعره الرائق والبارع والرائع مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث. أخرج الحاكم في المستدرك (١) (٢/ ٦٢٣) بإسناده عن ابن إسحاق قال: قال أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم - يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين:

ليعلم خيار الناس أن محمداً
وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به
فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم

صدق حديث لا حديث المبرجم

وإنك ما تأتيك منها عصابة

بفضلك إلا أرجعوا بالتكرم

فبلغ عن الشحناء أفناء غالب

لويا وتيما عند نصر الكرائم

لانا سيوف الله والمجد كله

إذا كان صوت القوم وجي الغمائم

ألم تعلموا أن القطيعة مأثم

وأمر بلاء قاتم غير حازم

وأن سبيل الرشد يعلم في غد

وأن نعيم الدهر ليس بدائم

فلا تسفهن أحلامكم في محمد

ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم

تمنيتم أن تقتلوه وإنما

أمانيكم هذي كأحلام نائم

وإنكم والله لا تقتلونه

ولما تروا قطف اللحى والغلاصم

ولم تبصروا والأحياء منكم ملاحماً

تحوم عليها الطير بعد ملاحم

وتدعو بأرحام أواصر بيننا

فقد قطع الأرحام وقع الصوارم

زعمتم بأنا مسلمون محمداً

ولما نقاذف دونه ونزاحم

من القوم مفضال أبي على العدى

تمكن في الفرعين من آل هاشم

أمين حبيب في العباد مسوم

بخاتم رب قاهر في الخواتم

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة

وما جاهل في قومه مثل عالم

نبي أتاه الوحي من عند ربه

ومن قال لا يقرع بها سن نادم

تطيف به جرثومة هاشمية

تذب عنه كل عات وظالم



ديوان أبي طالب (ص ٣٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٣١٣) (٢). ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصتها قوله:

ألا أبلغا عني على ذات بينها
لويا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وأن الذي رقشتم في كتابكم
يكون لكم يوماً كراغية السقب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً
لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ولـمـا تـبـن مـنـا ومـنـكـم سـوالـف

وأيـد أتـرت بـالـمـهـنـدة الـشـهـب

بـمـعـتـرك ضـنـك تـرى كـسـر الـقـنـا

به والضباع العرج تعكف كالشرب

كـأن مـجـال الـخـيـل فـي حـجـراتـه

ومعمعة الأبطال معركة الحرب

ألـيـس أبـونـا هـاشـم شـد أزره

وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولـسـنـا نـمـل الـحـرب حـتـى تـمـلـنـا

ولا نشتكي مما ينوب من النكب

ولـكـنـنـا أهـل الـحـفـائـظ والـنـهـى

إذا طار أرواح الكماة من الرعب

سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٣١٣)، بلوغ الأرب (١/ ٣٢٥)، خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢٦١)، الروض الأنف (١/ ٢٢٠)، تاريخ ابن كثير (٣/ ٨٧)، أسنى المطالب (ص ٦، ١٣)، طلبة الطالب (ص ١٠) (٦).

ومن شعره قوله:

ألا ما لهم آخر الليل معتم

طواني وأخرى النجم لما تقحم

طواني وقد نامت عيون كثيرة

وسامر أخرى قاعد لم ينوم

لأحلام أقوام أرادوا محمداً

بظلم ومن لا يتقي البغي يظلم

سعوا سفهاً واقتادهم سوء أمرهم

على خائل من أمرهم غير محكم

رجاة أمور لم ينالوا نظامها

وإن نشدوا في كل بدو وموسم

يرجون منا خطة دون نيلها

ضراب وطعن بالوشيج المقوم

يرجون أن نسخي بقتل محمد

ولم يختضب سمر العوالي من الدم

كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا

جماجم تلقى بالحميم وزموم

وتقطع أرحام وتنسى حليلة

حليلاً ويغشى محرم بعد محرم

وينهض قوم بالحديد إليكم

يذبون عن أحسابهم كل مجرم

هم الأسد أسد الزارتين إذا غدت

على حنق لم تخش إعلام معلم

فيا لبني فهر أفيقوا ولم تقم

نوائح قتلى تدعي بالتسدم

على ما مضى من بغيكم وعقوقكم

وغشيانكم في أمرنا كل مأتم

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى

وأمر أتى من عند ذي العرش قيم

فلا تحسبونا مسلميه ومثله

إذا كان في قوم فليس بمسلم

فهذي معاذير وتقدمة لكم

لكيلا تكون الحرب قبل التقدم

❀ ❀ ❀

ديوان أبي طالب (٥) (ص ٢٩)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٣١٢) (٦). وله قوله مخاطباً للنبي الأعظم ﷺ:

والله لـن يـصـلـوا إلـيـك بـجـمـعـهـم
حـتـى أوسـد فـي الـتـراب دفـيـنـا
فـاصدع بـأمرك ما عـليك غـضـاضـة
وابـشـر بـذاك وقـر مـنـك عـيـونـا
ودعـوتـني وعـلـمت أنـك نـاصحي
ولـقـد دعـوت وكـنـت ثـم أمـيـنـا
ولـقـد عـلـمـت بـأن ديـن مـحـمـد
مـن خـيـر أديـان الـبـريـة ديـنـا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب: مقاتل، وعبد الله بن عباس والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار. راجع: (٢) خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢٦١)، تاريخ ابن كثير (٣/ ٤٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٣٠٦)، تاريخ أبي الفدا (١/ ١٢٠)، فتح الباري (٧/ ١٥٣، ١٥٥) الإصابة (٤/ ١١٦)، المواهب اللدنية (١/ ٦١)، السيرة الحلبية (١/ ٣٠٥)، ديوان أبي طالب (ص ١٢) طلبة الطالب (ص ٥) بلوغ الأرب (١/ ٣٢٥)، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية (١/ ٩١/ ٢١١)، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب (ص ٦)

فقال: عدّة البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف. لفت نظر: زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات:

لولا الملامة أو حذاري سبة   لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

❁ ❁ ❁

قال السيد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب (١) (ص ١٤): فقيل إن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه. قال الأميني: هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب عليه السلام فإن أقصى ما فيه أن العار والسبة، اللذان كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول المبعوث صلى الله عليه وآله إنما منعاه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين، وهو صريح قوله: لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً، أي مظهراً، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بينا بينه وبين أبياته الأولى التي ينص فيها بأن دين محمد صلى الله عليه وآله من خير أديان البرية ديناً، وأنه صلى الله عليه وآله صادق في دعوته أمين على أمته. ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذبته قريش ونالت منه:

أمـن تـذكـر دهـر غـيـر مـأمـون

أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون

أم مـن تـذكـر أقـوام ذوي سـفـه

يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

ألا تـرون أذل الله جـمـعـكـم

إنـا غـضـبـنـا لـعـثـمـان بـن مـظـعـون

ونـمـنـع الـضـيـم من يـبـغـي مـضـيـمـنـا

بـكـل مـطـرد فـي الـكـف مـسـنـون

ومـرهـفـات كـأن الـمـلـح خـالـطـهـا

يشفى بها الداء من هام المجانين

حـتـى تـقـر رجـال لا حـلـوم لـهـا

بعد الصعوبة بالأسماح واللين

أو تـؤمـنـوا بـكـتـاب منـزل عـجـب

على نبي كموسى أو كذي النون

ومن شعره يمدح النبي الأعظم ﷺ:

أنـت الـنـبـي مـحـمـد　　قـرم أغـر مـسـود

لـمـسـوديـن أكـارم　　طـابـوا وطـاب الـمـولـد

نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأوحد
هشم الربيكة في الجفان وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج ها يماث العنجد
والمأزمان وما حوت عرفاتها والمسجد
أنَّى تضام ولم أمت وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم أسد العرين توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً في القول لا يتزيد
ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا
عن الغيّ من بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذن خائف
بوائق في داركم تلتقي

تكون لغيركم عبرة

ورب المغارب والمشرق

كما نال من كان من قبلكم

ثمود وعاد وماذا بقي

غداة أتاهم بها صرصر

وناقة ذي العرش قد تستقي

فحل عليهم بها سخطه

من الله في ضربة الأزرق

غداة يعض بعرقوبها

حساماً من الهند ذا رونق

وأعجب من ذاك في أمركم

عجائب في الحجر الملصق

بكف الذي قام من خبثه

إلى الصابر الصادق المتقي

فأثبته الله في كفه

على رغمه الجائر الأحمق

أحيمق مخزومكم إذ غوى

لغي الغواة ولم يصدق

ديوان أبي طالب (١) (ص ١٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣/ ٣١٤) (٢). قال ابن أبي الحديد في شرحه (٣) (٣/ ٣١٤): قالوا: وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق
أذبّ وأحمي رسول الإله حماية حام عليه شفيق
وما إن أدت لأعدائه دبيب البكار حذار الفنيق
ولكن أزير لهم ساميًّا كما زار ليث بغيل مضيق

وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه (٥) (ص ٢٤). ولسيدنا أبي طالب أبيات كتبها إلى النجاشي بعدما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي. يحرض النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عن ما يقوله عمرو منها:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر
وعمرو وأعداء النبي الأقارب
وهل نال إحسان النجاشي جعفراً
وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب

أتعلم أبيت اللعن أنك ماجد

كريم فلا يشقى إليك المجانب

ونعلم أن الله زادك بسطة

وأسباب خير كلها بك لازب

تاريخ ابن كثير (٢) (٣/ ٧٧)، شرح بن أبي الحديد (٣/ ٣١٤). قال ابن أبي الحديد في شرحه (٣) (٣/ ٣١٥): ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً، ويسكن جأشه، ويأمره بإظهار الدعوة:

لا يمنعنك من حقٍّ تقوم به

أيد تصول ولا سلق بأصوات

فإن كفك كفي إن بهم مليت

ودون نفسك نفسي في الملمات

قال ابن هشام (٥): ولما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً، حتى يهلك دونه، فقال أبو طالب:

خليلي ما أذني لأول عاذل

بصغواء في حق ولا عند باطل

ولما رأيت القوم لاود فيهم

وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى

وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة

يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة

وأبيض عضب من تراث المقاول

أعوذ برب الناس من كل طاعن

علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة

ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه

وراق ليرقى في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة

وبالله إن الله ليس بغافل

وبالحجر المسود إذ يمسحونه

إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

كذبتم وبيت الله نترك مكة

ونظعن إلا أمركم في بلابل

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً

ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم بالحديد إليكم

نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحتى نرى ذا الظغن يركب

ردعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل

وإنا لعمر الله إن جد ما أرى

لتلتبس أسيافنا بالأماثل

بكفي فتى مثل الشهاب سميدع

أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً

علينا وتأتي حجة بعد قابل

وما ترك قوم ـ لا أباً لك ـ سيداً

يحوط الذمار غير ذرب مواكل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده في رحمة وفواضل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة

له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا

بني خلف قيضا بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم

وآل قصي في الخطوب الأوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا

علينا العدا من كل طمل وخامل

فعبد مناف أمنتم خير قومكم

فلا تشركوا في أمركم كل واغل

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب

لدينا لا نعبا بقول الأباطل

أشم من الشم البهاليل ينتمي

إلى حسب في حومة المجد فاضل

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد

وأحببته حب الحبيب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها

وزيناً لمن والاه رب المشاكل

فأصبح فينا أحمد في أرومة

تقصر عنه سورة المتطاول

حدبت بنفسي دونه وحميته

ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

فأيده رب العباد بنصره

وأظهر ديناً حقه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته (٢) (١/ ٢٨٦ ـ ٢٩٨)، أربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه (٣) (٣/ ٥٣ ـ ٥٧)، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال (ص ٥٧) قلت: هذه

قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات أخر والله أعلم. وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب (٤) (ص ٢ ـ ١٢) في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلها تمام القصيدة. وقال ابن أبي الحديد في شرحه (٥) (٣/ ٣١٥) بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواتر كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروري بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء أياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك. قالوا: واتركوا هذا كله جانباً، ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة قفا نبك؟

وقال القسطلاني في إرشاد الساري (١) (٢/ ٢٢٧):

قصيدة جليلة بليغة من بحر الطويل، وعدة أبياتها مائة وعشرة

أبيات، قالها لما تمالأ قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الإسلام وذكر منها في المواهب اللدنية (٢) (١/ ٤٨)، أبياتاً فقال: هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره من شأنه. وقال العيني في عمدة القاري (٣): (٣/ ٤٣٤) قصيدة طنانة وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها:

خليلي ما أذني لأول عاذل   بصغواء في حق ولا عند باطل

وذكر منها البغدادي في خزانة الأدب (٤) (١/ ٢٥٢ ـ ٢٦١) اثنين وأربعين بيتاً مع شرحها، وقال: أولها:

خليلي ما أذني لأول عاذل   بصغواء في حق ولا عند باطل

خليلي إن الرأي ليس بشركة   ولا نهنه عند الأمور البلابل

قال رسول الله ﷺ: «**لا تسلني باللآت والعزى شيئاً قط**»، فقال بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. فقال: «**سلني عما بدا لك**». فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيئته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على

موضعه من صفته التي عنده. الحديث: فقال أبو طالب في ذلك:

إن ابن آمنة النبي محمداً عندي يفوق منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته والعيس قد قلصن بالأزواد
فارفض من عيني دمع ذارف مثل الجمان مفرق الأفراد
راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة بيض الوجوه مصالت أنجاد
ساروا لأبعد طيّة معلومة فلقد تباعد طية المرتاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا لاقوا على شركٍ من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً عنه ورد معاشر الحساد
قوم يهود قد رأوا لما رأى ظل الغمام وعن ذي الأكباد
ثاروا لقتل محمد فنهاهم عنه وجاهد أحسن التجهاد
فثنى زبيراً من بحيرا فانثنى في القوم بعد تجاولٍ وبعاد
ونهى دريساً فانتهى عن قوله حبر يوافق أمره برشاد

وقال أيضاً:

ألم ترني من بعدهم هممته بفرقة حر الولدين حرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي برحلي وقد ودعته بسلام

بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا　　وأخـذت بالكفـين فضل زمام

ذكــرت أبـاه ثـم رقـرقـت عـبـرة　　تجود من العينين ذات سجام

فقلت: ترحل راشداً في عمومة　　مواسير في البأساء غير لئام

فجاء مع العير التي راح ركبها　　شآمي الهوى والأصل غير شآم

فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا　　لنا فوق دور ينظرون جسام

فـجـاء بحيرا عند ذلك حاشداً　　لـنـا بـشـراب طيـب وطعـام

فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا　　فقلنا جمعنا القوم غير غلام

يتيـم فقـال ادعوه إن طعامنا　　كثير عـليه اليوم غير حرام

فلـولا الذي خبرتم عن محمد　　لكنـتم لدينا اليوم غير كرام

فـلـمـا رآه مـقـبـلاً نـحـو داره　　يوقـيه حر الشمس ظل غمام

حنا رأسه شبه السجود وضمه　　إلـى نحره والصدر أي ضمام

وأقبل ركب يطلبون الذي رأى　　بحيرا من الأعلام وسط خيام

فـثـار إليهـم خشيةً لعرامهـم　　وكـانوا ذوي بغـيّ لنا وعرام

دريس وتـمـام وقـد كـان فيهـم　　زبـيـر وكـل القـوم غيـر نيام

فجاؤوا وقد هموا بقتل محمد　　فـردهـم عـنـه بحـسـن خـصـام

بتأويلـه التـوراة حـتى تيقنوا　　وقـال لهـم رمتـم أشـد مرام

أتبغـون قـتـلاً لـلـنـبي محمد　　خصصتم على شؤم بطول آثام

وإن الـذي نـختـاره منـه مانع　　سيكـفيه منكم كـيد كل طغام

فـذلـك مـن أعـلامـه وبـيـانـه ولـيـس نـهـار واضـح كـظـلام

ديوان أبي طالب (١) (ص ٣٣ ـ ٣٥)، تاريخ ابن عساكر (٢) (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٢)، الروض الأنف (٣) (ا/ ١٢٠). وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى (٤) (١/ ٨٤) فقال في (ص ٨٥): وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها:

فما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديث تجلو غـمّ كـل فؤاد

وحتـى رأوا أحبار كـل مدينة سجـوداً لـه من عصبةٍ وفـراد

زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً دريسـاً وهـمـوا كـلهـم بـفـسـاد

فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا له بعد تكذيب وطول بعاد

كما قال للرهط الذين تهودوا وجاهدهم في الله كل جهاد

فقال ولم يترك له النصح رده فـإن لـه إرصـاد كـل مـصـاد

فإني أخاف الحاسدين وإنه لفي الكتب مكتوب بكل مداد

استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ: أخرج ابن عساكر في تاريخه في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلم واستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام

كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابه قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق وأغدودق، وانفجر له الوادي، وأخصب البادي والنادي، وفي ذلك قول أبو طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرةً ووزان صدق وزنه غير هائل

شرح البخاري للقسطلاني (٢/ ٢٢٧)، المواهب اللدنية (١/ ٤٨)، الخصائص الكبرى (٨٦/ ١٢٤)، شرح بهجة المحافل (١/ ١١٩)، السيرة الحلبية (١/ ١٢٥)، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية (١/ ٨٧)، طلبة الطالب (ص ٤٢) (١). ذكر الشهرستاني في الملل والنحل (٢) بهامش الفصل (٣/ ٢٢٥) سيدنا عبد المطلب وقال: ومما يدل علي معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب العظيم، وأمسك السحاب عنهم سنتين، أمر أبا طالب ابنه أن يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو

رضيع في قماط، فوضعه على يديه واستقبل الكعبة رماه إلى السماء وقال: يا رب بحق هذا الغلام. ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول: بحق هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً. أن يلبث ساعة طبق السحاب وجه السماء وأمطر حتى خافوا على المسجد، وأنشد أبو طالب ذلك الشعر الأمي الذي منه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ثم ذكر أبياتاً من القصيدة، ولا يخفى على الباحث أن القصيدة نظمها أبو طالب عليه السلام أيام كونه في الشعب كما مر. فاستسقاء عبد المطلب وابنه سيد الأبطح بالنبي الأعظم يوم كان صلى الله عليه وآله رضيعاً يافعاً يعرب عن توحيدهما الخالص، وإيمانهما بالله، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من أول يومه، ولو لم يكن لهما إلا هذان الموقفان لكفياهما، كما يكفيان الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما الإيمان.

أبو طالب في مولد أمير المؤمنين عليه السلام:

عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله، عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: **«لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام، إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من**

نوري، وخلقني من نوره، وكلانا من نور واحد، ثم إن الله ﷻ نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة، إلى أرحام زكية، فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة. واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد». وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة، فبعث الله إليه أبا طالب، فلما بصره المبرم قام إليه وقبل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال: من أنت؟ فقال: رجل من تهامة. فقال: من أي تهامة؟ فقال: من بني هاشم، فوثب العابد فقبل رأسه ثم قال: يا هذا إن العلي الأعلى ألهمني إلهاماً، قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو ولي الله جل وعلى. فلما كان الليلة التي ولد فيها علي أشرقت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا رب هذا الغسق الدُّجي والقمر المنبلج المضي

بين لنا من أمرك الخفي ماذا ترى في اسم ذا الصبي

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبي خصصتم بالوالد الزكي
إن اسمه من شامخ العلي علي اشتق من العلي

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب (ص ٢٦٠) وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي، وتفرد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروف عندنا.

بدء أمر النبي ﷺ وأبو طالب: أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول، بإسناده عن طاوس، عن ابن عباس في حديث طويل: أن النبي ﷺ قال للعباس ﷺ: «**إن الله قد أمرني بإظهار أمري، وقد أنبأني واستنبأني فما عندك؟**» فقال له العباس: يا بن أخي تعلم أن قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء، والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحد، وانتسفونا نسفاً، صلتاً، ولكن قرب إلى عمك أبي طالب، فإنه كان أكبر أعمامك أن لا ينصرك لا يخذلك ولا

يسلمك، فأتياه، فلما رآهما أبو طالب قال: إن لكما لظنة وخبراً، ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ما قال له النبي ﷺ وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج يا بن أخي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبي لنبياً، لوددت أني أدركت ذلك:

فإني والضوابح عاديات وما تتلو السفاسرة الشهور
لآل محمد راعٍ حفيظ وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ولو جرت مظالمها الجزور
أيأمر جمعهم أبناء فهر بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ولا أمت رشاداً إذ تشير
بني أخي ونوط القلب مني وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان رياً وأحمد قد تضمنه القبور
أيا بن الأنف أنف بني قصي كأن جبينك القمر المنير

❀ ❀ ❀

قال شيخنا العلامة المجلسي في البحار (٩/ ٣١): روى جامع الديوان ـ يعني ديوان أبي طالب ـ نحو هذا الخبر مرسلاً ثم ذكر الأشعار هكذا، فذكر الأشعار وفيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر، وهي لا توجد في الديوان المطبوع لسيدنا أبي طالب. وقال السيد فخار بن معد في كتابه الحجة (٥) (ص ٦١): وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي المحدث البغدادي ـ وكان ممن يرى كفر أبي طالب ويعتقده ـ بواسط العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمائة بإسناد له إلى الواقدي، وأن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به ﷺ: علام نحصر ونحبس، وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم أنصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، وستحل ما يحرم عليه منا. وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال أبو طالب:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا

على نأيهم والله بالناس أرود

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت

وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها إفك وسحر مجمع

ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيا بقرقر

فطائرها في رأسها يتردد

وكانت كفاءً وقعة بأثيمةٍ

ليقطع منها ساعد ومقلد

ويظعن أهل المكتين فيهربوا

فرائصهم من خشية الشر ترعد

ويترك حراك يقلب أمره

أيتهم فيها عند ذاك وينجد

وتصعد بين الأخشبين كتيبة

لها حدج سهم وقوس ومرهد

فمن ينش من حضار مكة عزه

فعزتنا في بطن مكة أتلد

نشأنا بها والناس فيها قلائل

فلم تنفك نزداد خيراً ونحمد

ونطعم حتى يترك الناس فضلهم

إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا

على ملأ يهدي لحزم ويرشد

قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم

مقاولة بل هم أعز وأمجد

أعان عليها كل صقر كأنه

إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً

إذا عد سادات البرية أحمد

نبي الإله والكريم بأصله

وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد

جريء على جلى الخطوب كأنه

شهاب بكفي قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤي بن غالب

إذا سيم خسفاً وجهه يتربد

طويل النجاد خارج نصف ساقه

على وجهه يسقى الغمام ويسعد

عـظـيـم الـرمـاد سـيـد ابـن سـيـدٍ

يحض على مقرى الضيوف ويحشد

ويـبـني لأبـنـاء الـعـشـيـرة صـالـحـاً

إذا نـحـن طـفـنـا فـي الـبـلاد ويـمـهـد

ألـظ بـهـذا الـصـلـح كـل مـبـراً

عـظـيـم الـلـواء أمـره ثـم يـحـمـد

قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا

عـلـى مـهـل وسـائـر الـنـاس رقـد

هـم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً

وسـر أبـو بـكـر بـهـا ومـحـمـد

متـى شـرك الأقـوام فـي جـل أمـرنـا

وكـنـا قـديـمـاً قـبـلـهـا نـتـودد

وكـنـا قـديـمـاً لا نـقـر ظـلامـةً

ونـدرك مـا شـئـنـا ولا نـتـشـدد

فيـال قـصـي هـل لـكـم في نفوسكم

وهـل لـكـم فـيـهـا يـجـيء بـه غـد

فـأنـي وإيـاكـم كـمـا قـل قـائـل

لـديـك الـبـيـان لـو تـكـلـمـت أسـود

هذه القصائد العسجدية والماسية التي صاغها أبو طالب عليه السلام بقريحة نقية عفوية المعية، وبسجية ناصعة البياض، وطاهرة وعفيفة، غايتها الشرف والعقيدة والإيمان والتقوى، لا يريد جاهاً، ولا أجراً، ولا مالاً، ولا سمعة، ورياء، ولا عصبية، وكرسي ولا زعامة، إنما يناله التقوى والثواب من الله سبحانه وتعالى. وهذا لعمري جلي، وواضح وضوح الشمس في رابعة النهار، أن من نظم ونضد وأقرض هذا الشعر الغض الطري النظيف النقي هو لاشك ولا ريب مؤمن بالسليقة والفطرة، لا يجامل ولا يداهن ولا تأخذه في الله لومى لائم. أفبعد كل هذا، هل لنا لسان يقرُ أو شفتين تتمتمٌ أن أبو طالب مات كافر؟

الدليل على إيمان أبو طالب عليه السلام

لا يوجد دليل واحد فقط على إيمان أبو طالب عليه السلام، بل يوجد مئات الأدلة الدامغة على إيمانه المطلق، ورسوخ عقيدته وثباتها، وتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وآله، بل الدفاع عن بيضة الإسلام، والذود عن حياضه. مواقفه النبيلة تجاه هذا الدين، ومشاعره الجياشة التي تشيد بالدين الإسلامي في كل محفل ومشهد، وتعبر عما يختلج في قلبه من مشاعر وأحاسيس نحو هذا الدين القويم، وما يختمر في ذهنه من خطط وأساليب لنشر هذا الدين، ودفاعه المستميت عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتضحيته بالغالي والنفيس له، وبذل الأنفس والمهج من أجل الحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. كل هذه المواقف النبيلة، والتضحيات الجسيمة تعطي دلالة واضحة

وجلية على إيمان أبو طالب عليه السلام، وحبه وشغفه بالإسلام. فعندما لاحت بشائر الإسلام، وأضاءت أنواره، كان أبو طالب عليه السلام ممن أنذر وبشر به من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حين أمره ربه بأن ينذر ويدعو عشيرته وأهله قبل الناس، حيث قال عز من قائل: «وانذر عشيرتك الأقربين» فهو من رهطه وعشيرته ومن ذريته. ذات يوم بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي قال قائل من قريش: انظروا إلى هذا المرائي، ألا تنظرون إليه؟ ثم طلب أن يؤتي له بفرث ودم وسلا ناقة تابعة لأحد رجال مكة، وبعد أن سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وضع هذا الرجل أمعاء الناقة وفرثها ودمها على رأس النبي صلى الله عليه وآله وبين كتفيه، وظل الرسول صلى الله عليه وآله ساجداً، وضحك منه رجال مكة وهو ساجد يطيل السجود وكل هذه القاذورات التي وضعوها على رأسه موجودة. فانطلق رجل إلى فاطمة الزهراء عليها السلام فأخبرها بما يحدث في الحرم، فأقبلت فاطمة عليها السلام تزيل عن رأس النبي صلى الله عليه وآله ما وضعوه، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من صلاته قال: اللهم عليك بقريش اللهم، عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم قال: اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة،

وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد.
وقد بينت الروايات الصحيحة أن الذي رمى الرفث على رسول الله ﷺ هو عقبة بن أبي معيط، وأن الذي حرضه هو أبو جهل. ولما سمع عمه أبو طالب عليه السلام خبر رمي الرفث والدم والسلا على ابن أخيه رسول الله ﷺ، زأر، وارتعش بدنه من شدة الغضب، فجاء مسرعاً، وجمع الرفث والدم والسلا ووضعه على رأس عقبة بن معيط ومرغ بدنه بها وجسده، نكالا به لفعلته الشنيعة برسول الله ﷺ أمام مرأى ومسمع من رسول الله ﷺ، وقال له هل رضيت يابن أخي.
يا رسول الله. كان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب، حيث كان عبد المطلب دائماً ما يوصى به عمه أبا طالب، وذلك لأن عبدالله والد رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم، أمهما فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم. قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم ولاية أبي طالب لأمر رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده. قال ابن إسحاق: إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير، صب به

رسول الله ﷺ، فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، فخرج به معه. فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له «بحيرا» في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته، في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم.

قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها؛ فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام، فصنع ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا

أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا إن لك لشأناً اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيوف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم، لحداثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة؛ فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًّا، فتخلف في رحالهم؛ فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبدالله بن عبدالمطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا، فقال له: يا غلام، أسألك بحق

اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؛ وإنما قال له بحيرا ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم. قال ابن إسحاق: فلما فرغ، أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي؛ قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به؛ قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فاسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام؛ فزعموا فيما روى الناس: أن زريراً وتماماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيرا في ذلك السفر، الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه.

شب رسول الله ﷺ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ رجلاً، وأفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرماً، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، والخصال الحميدة.

قال الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه: سمعت أمير المؤمنين «علي» صلوات الله وسلامه عليه يقول: والله ما عبد أبي، ولاجدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قطّ، قيل له:

فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به.

إنه لغريب حقًّا أن نقرأ في مصادر المسلمين وصحاحهم أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وأجداده كانوا مشركين تارة، أو أنهم كانوا في فترة انقطاع الرسل، وأن الله تعالى سيختبرهم يوم القيامة تارة أخرى، ليس هذا فحسب، بل وصل الأمر بهم إلى تكفير حامي الرسول، وناصره الأول، ألا وهو عمه أبو طالب عليه السلام. وللأسف الشديد أن يكون ذلك مادة ومقرراً يتدارسه الطلاب في المدارس التعليمية! لاشك أن لهذه الأفكار سوقاً رائجة كانت في عهد التدليس، والوضع، والتزوير، أيام الأمويين الذين ما فتئوا يحاربون الإسلام والقرآن، إلى درجة بلغت بمعاوية (كاتب الوحي على حدِّ زعمهم!) الحقد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الرسالة، كما ينقل صاحب شرح النهج وهو ابن أبي الحديد وهو من أكابر علماء السنة إذ يقول: عن مطرف بن المغيرة قال لي أبي: خلوت بمعاوية فقلت له: إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت،

ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فثار معاوية... واندفع يقول: هيهات.. هيهات.. إلى أن قال: (...أن أخا هاشم ـ يعني رسول الله ـ يصرخ به في كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله (فأي عمل يبقى بعد هذا ـ لا أم لك ـ ألا دفنا دفنا) (شرح النهج ج٢ ص٢٩٧ ومروج الذهب للمسعودي ص٣٤٢ ج٢)، فمعاوية يأمل أن يدفن اسم النبي ﷺ.

ولا غرو أن في عهد معاوية كان يلعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على آلاف المنابر، وفي خطب الجمعة، واستمر الأمر على هذا النحو ثمانين عاماً، كما يذكر أرباب التواريخ، فإذا كان الحال هذه بالنسبة للرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام، فكيف إذاً سيكون حال آبائهما؟ خصوصاً أن الآيات والروايات قد تواترت وتضافرت على كفر بني أمية ولعنهم، إلا أن السياسة الأموية الماكرة عملت على تحريف ذلك باتجاه بني هاشم الذين انبثق منهم نور النبوة والإمامة. قبل أن نلج في هذا المبحث حول إيمان أبي طالب عليه السلام، لابد لنا من الإشارة إلى إيمان آباء النبي ﷺ. فقد ذكر

صاحب مجمع البيان في تفسير الآية: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ أن جميع أجداد النبي ﷺ من زمن آدم عليه السلام إلى زمن نبينا محمد ﷺ كانوا موحدين، وفي التفسير المشهور لعلي بن إبراهيم القمي للآية ذاتها ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ قال: أي في أصلاب النبيين عليهم السلام.

ومما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره الإمام شمس الدين (المتوفى سنة ٦٣٠هـ) في كتابه (حجة الذاهب) في تعليقه على هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨] إذا يقول شمس الدين: فغير جائز أن تنقطع هذه الأمة المسلمة من أمة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى يوم القيامة، ومن زعم ذلك فقد زعم أن دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم تستجب». وإضافة إلى هذا فهناك جملة من الأحاديث الدالة على ذلك، منها: (يبعث الله تعالى عبدالمطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك) (شرح النهج ص٣١١ ج٣)،

وعن النبي ﷺ: «لم يزل الله تعالى ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني إلى عالمكم هذا» نقلاً عن حجة الذاهب.

والأحاديث في هذا السياق كثيرة ونكتفي بذلك منها للاستطراد. أما بالنسبة لأبي طالب ﷺ حامي الرسول ﷺ وناصره وكافله، فلقد ناله حظ وافر من الطعن بإيمانه والتشكيك بإسلامه، وما ذلك إلا لأنه حِجرُ الإسلام ووعاؤه، ففي كنفه ترعرع الرسول ووصيه أمير المؤمنين (عليهما وآلهما السلام)، وقد آزر أبو طالب الرسول ﷺ حتى توفي، وعلى إثره اضطر للهجرة إلى المدينة، وحتى لا نستبق الأحداث لنستدل بالمعطيات التي تؤكد حقيقة إيمانه عليه السلام. يؤكد الشيخ الطبسي في كتابه (منية الراغب) أن أبا طالب كان من أهل التوحيد والإيمان وناصر الرسول وحاميه بشهادة الباري - عز وجل - في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]. وفي رواية الكافي، أنه لما مات أبو طالب ﷺ هبط جبرائيل على رسول الله ﷺ وقال:

يا محمد أخرج من مكة فليس لك فيها ناصر)، وفي رواية أخرى (فقد مات ناصرك).

وما دامت الحرب على أبي طالب حرباً إعلامية أموية حاقدة من خلال مرويات الوضاعين، فلنا أن نتخندق بروايات محمد وأهل بيته (صلوات الله عليهم) في إثباتهم عظمة إسلام أبي طالب، وقمة رسوخ إيمانه، إضافة إلى شواهد أخرى من التاريخ التي وصلتنا وبلغنا النزر اليسير منها. فقد روي عن الأئمة من آل محمد (صلوت الله عليهم) عن الحسن العسكري عليه السلام في حديث طويل: (أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي، ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه (حجة الذاهب ص٤٠٧. ولا بأس أن نشير هنا إلى الآيات الواردة في مؤمن آل فرعون التي كان أحد مصاديقها أبو طالب عليه السلام طبقا للروايات، والآيات من سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ

يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.... ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾... ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

ولاشك أن أبا طالب كان يقول ذلك لقومه، ومواقفه وأشعاره صريحة في هذا الشأن. فإذا كان الرجل الذي خصته هذه الآيات هو مؤمن آل فرعون، فلا نغالي بقولنا أن أبا طالب هو مؤمن قريش! وإن مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف أيضاً حيث كتموا إيمانهم، وهناك روايات صريحة في هذا المعنى، راجع الغدير (ص٣٩١، ج٧). وقد نقل العلامة

الطبسي في كتابه (منية الراغب) ص١٣، وص٢٢ أحاديث لرسول الله ﷺ منها قوله: (إن عبد المطلب كان على دين إبراهيم عليه السلام، وأن أبا طالب قال عند الوفاة أنا على ملة عبد المطلب)، وأن أبا طالب كان وصياً من أوصياء إبراهيم)، وأيضاً أن أبا طالب كان آخر أوصياء عيسى). ولا توجد مانعة الجمع فتدبر. وفي رواية الكافي عن أبي الحسن الأول عليه السلام (أن أبا طالب كان مستودعاً للوصايا فدفعها للنبي محمد ﷺ. وأشار أرباب التاريخ إلى أن رسول الله ﷺ أعلن عام الحزن في العام الذي توفي فيه أبا طالب والسيدة خديجة، فهل كان النبي يحزن لموت الكافر والمشرك والعياذ بالله؟!

ونقل الذهبي في تاريخه بإسناده عن العباس بن عبدالمطلب أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: كل خير أرجو من ربي عز وجل ص١٣٨ ج١. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب بالنار. فقال عليه السلام:

(مه، فض الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار! والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الأئمة، إلا أن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام) والمصادر لهذا الحديث: المناقب لابن شاذان وكنز الفوائد للكراجكي ص٨٠ وتفسير أبي الفتوح ص٢١١ ج٤ والدرجات الرفيعة ص٥٠ وضياء العالمين للفتوني كما أخرجه الأميني في الغدير. وفي هذا السياق نذكر ما ذكره علامة المعتزلة في شرح النهج، عن أبي بصير المرادي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام سيدي إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فقال عليه السلام: كذبوا والله. إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم، ثم قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر أن يحج عن أب النبي وأمه وعن أبي طالب في حياته، ولقد أوصى بالحج عنهم بعد مماته ص٣١١ ج٣ كما في الدرجات

الرفيعة ص٤٩، فهذه الأخبار المروية في كتب العامة المختصة بذكر الضحضاح وما شاكلها من متخرصات الفتن وموضوعات بني أمية والناصبين العدواة لأهل بيت النبي ﷺ. وذكر أرباب التاريخ والتفسير والحديث والسيرة وصية أبا طالب لما حضرته الوفاة فقد دعا أولاد أخوته وأحلافه وعشيرته وأكد عليهم ووصاهم بنصرة النبي ﷺ ومؤازرته، وبذل النفوس دون مهجته، وعرفهم ما لهم في ذلك من الشرف العاجل والثواب الآجل فقال:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة

ابني عليًّا وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامي حقيقته

وجعفرا أن تذودوا دونه الناس

كونوا فداء لكم أمي وما ولدت

في نصرأحمد دون الناس أتراس

وأورد الإمام شمس الدين عن جماعة من الأصحاب عن الأئمة من آل محمد (صلوات الله عليهم) أنهم سئلوا عن قول النبي ﷺ المتفق على روايته والمجمع على صحته: (أنا

وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) فقالوا: أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب، لأنه كفله يتيماً من أبويه، ولم يزل شفيقاً حدباً عليه (حجة الذاهب ص١٦٥).

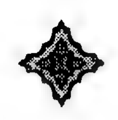
وفي كتاب المولد لأبي الحسن البكري في وفاة أبي طالب قال:.. وقاموا في مواراته وكان النبي ﷺ يغسله وعليٌّ يصب الماء عليه ثم أدرجوه في أكفانه بعد أن أهدى إليه السدر والكافور من الجنة! وحزن عليه رسول الله وأولاد عبدالمطلب وبنو هاشم وبنو عبد مناف وجميع أهل مكة والنساء شققن عليه الجيوب ونشرن عليه الشعور ورسول الله وعلي يبكيان عليه فلما فرغ النبي من تغسيله وتكفينه أنزله بعد ذلك في لحده ولقنّه وهو يبكي ويقول: وابتاه وأبا طالباه واحزناه عليك يا عماه.. آه.. آه.. بعدك يا عماه ربيتني صغيراً وأحببتني كبيراً وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد! ثم هالوا عليه التراب وجاؤوا نحو العزاء وعزاه الناس عليه الصلاة والسلام، وقد رثاه الإمام علي في أبيات كثيرة. ومن الشواهد الدالة على خالص إيمانه أشعاره الكثيرة والوفيرة، صادحاً بالحق، وقادحاً بالكفر، ومنافحاً

عن الدين وشريعة سيد المرسلين، وجمعها بعض العلماء فصارت ديواناً كاملاً.

لـقـد أكـرم الله الـنـبـي مـحـمـدا
فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشـق لـه مـن اسـمـه لـيـجـلـه
فذوا العرش محمود وهذا محمدْ

وهناك في الحقيقة مئات الروايات والمواقف والأشعار أعرضنا عن ذكرها لضيق المجال، كما أن هناك شهادات كثيرة من الصحابة في حق أبي طالب كابن عباس، وأبو بكر، وأبو ذر، وغيرهم، إضافة إلى تصريحات علماء العامة بهذا الخصوص كأبو حنيفة، ومالك، والتلمساني، والسحيمي، والقرافي، ودحلان، وأبو الفداء، وابن الأثير، وأبو الفرج الأصفهاني، وغيرهم بالعشرات بل بالمئات. أما علماءنا وهم بالألوف قد أجمعوا على هذا المطلب وصنفوا في ذلك العديد من المصنفات، ولم يشذ منهم أحد. فقد عرفت مما سبق أن منشأ تكفير أبي طالب عليه السلام هو من افتراء الوضاعين المغرّرين بالأمويين، وتبين أن الله تعالى قد شهد له بالإيمان

في أكثر من آية وفي مواطن عديدة وهكذا رسوله وعترته الطاهرين عليهم السلام في متواتر الحديث وصحيحه، وأثبتنا أن عبدالمطلب وأبا طالب في منزلة الأنبياء والأوصياء. فليس هذا بقليل على حامي الرسول صلى الله عليه وآله وناصره الأول، إذ لولاه لما بقي للإسلام ركن ولا استقام له عود.



وماذا بعد تلك البراهين الساطعة والحجج اللامعة؟

تبيانا لحقيقة إيمان رئيس قريش وزعيمها، وسيد البطحاء، وعم الرسول الأعظم ﷺ وحاميه، وكافله، والذاب عنه «أبو طالب» عليه السلام في حزمة ضخمة من الأحاديث والمرويات والمتواترات، العظيمة السند، التي تدل دلالة كبيرة جداً على إيمانه القوي، والراسخ بدين الله سبحانه وتعالى، ورسالة محمد ﷺ، دون أن يرقى إليه الشك والريب. فهذه دعوة مفتوحة من القلب إلى القلب لأصحاب العقول النيرة، والألباب الراجحة، والقلوب الزاكية، ولمن ألقى السمع وهو شهيد، أن يتحرر من نير العقول، واسترقاق واستعباد الأفكار السوداء، حتى يؤوب الضال إلى رشده،

ويثوب المخطئ إلى صوابه، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم الذي لا يشوبه لغوب ولا لاغيه، ويقف على جادة الصواب، ويصيب كبد الحقيقة، ويقر بهذا الأمر، ويعترف بهذا الواقع، ويفيق من هذا السبات، بأن «أبو طالب» مؤمن باستحقاق، شاء من شاء وأبى من أبى، وهو عند الله من المقربين الأبرار الأخيار.

ألا يستحق منا أبو طالب عليه السلام كل هذه الثقة، والتصديق، والوفاء، ورد الجميل، على رغم كل ما قام به من أعمال خارقة جدًّا في حفظ الرسالة المحمدية وهي في مهدها، وما بذله من جهود جبارة في كفالة وحماية نبينا محمد ﷺ وهو لا يزال طفلاً، وصبياً، وشاباً، ليصدع بالرسالة، ويمضي بالنذارة. ألا يستحق منا تخليد ذكره، وتمجيده، والإحتفاء به، والدفاع عن حقه، وشرفه، وكرامته، لأن صون شرفه وكرامته عليه السلام هو صون لشرف وكرامة النبي محمد ﷺ لأنه عمه وحاميه وكافله، وذرعه الواقي، وهوشيخ البطحاء وسيدها، وزعيم قريش، وسيد أشرافها، فلماذا كل هذا الجفاء وهذه القسوة عليه، ولماذا نوصمه بهذه الوصمة

وهذا العار، ونوسمه بهذا الوسم وهو الكفر والعياذ بالله، وهذا يغضب النبي محمد ﷺ لإلصاق تهمة الكفر بعمه، مع أن النبي محمد ﷺ قد أكد خبر إيمانه وتقواه، وإنه يحبه حبًّا شديداً لحبه له، ورأفته به، وشفقته عليه.

فلماذا يصر البعض على نسبة الكفر له، والنيل منه، وبهته، وازدرائه، فقط لأنه أباً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ألا نأخذ كلام الرسول ﷺ على محمل الجد، وأنه ﷺ، لا يحابي، ولا ينافق، ولا يداهن، لا تأخذه في الله لومة لائم طرفة عين. وأيضاً لا ننسى أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، علمه شديد القوى. فعندما نعت عمه أبو طالب عليه السلام بالإيمان والتقوى، «وأنه لو وزن إيمان أبوطالب عليه السلام في كفة وإيمان الخلائق في كفة أخرى لرجحت كفة إيمانه» لا يقصد الرسول ﷺ أن يسبغ على عمه صفات وسمات هو ليست أهلاً لها، أو يقلده وسام لا يليق به، حاشى وكلا أن يفعل رسول الله ﷺ هذا الفعل لإرضاء مخلوق، وهو الذي يقول في نص حديثه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». ثم إن في الحديث المروي عن

الرسول ﷺ «احمل أخيك المؤمن على سبعين محمل من الخير». وللمزيد من الأدلة والحقائق والوقائع التي تدلل على إيمان أبو طالب عليه السلام وعباده وتقواه. فقد روى العلامة أبو عبدالله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب؛ الباب السابع في مولده وهو في الفصل الثالث بعد الأبواب المائة التي ذكرها في مناقب الإمام علي، ضمن رواية طويلة نقتطف منها الشاهد هنا وهي الأبيات، إذ روى بسنده المتصل بمسلم بن خالد المكي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال سألت رسول الله عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال: لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح.. فلما أصبح (أبو طالب) دخل الكعبة وهو يقول (شعراً):

يا رب هذا الغسق الدجيّ والقمرِ المنبلجِ المُضِيِّ
بيِّن لنا من أمرك الخفي ماذا ترى في اسمِ ذا الصبي

فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبي خصصتما بالولد الزكي
إن اسمه من شامخ العليّ عليٌّ اشتُقَّ مِنَ العليّ

والرواية كما تفيد بأن أبا طالب خاطب ربه شعراً فجاءه الجواب شعراً، فمن أجابه؟ فإذا كان ملاكاً، فبالتأكيد أنه مكلف من الله وهو العلة الأولى. والمتأمل في الرواية التالية يدرك مدى الكرامة الربانية التي حظي بها علي وأبوه عليهما السلام بتفصيل أكبر في رواية العلامة الهمداني الشافعي في كتابه مودة القربى؛ المودة الثامنة، ونقل عنه الحافظ القندوزي في كتابه ينابيع المودة المطبوع في استانبول؛ الباب السادس والخمسين: عن العباس بن عبد المطلب قال: لما ولدت فاطمة بنت أسد «عليًّا» سمته باسم أبيها أسد، ولم يرض أبو طالب بهذا الاسم فقال: هلم حتى نعلو أبا قبيس (جبل أبي قبيس بمكة) ليلاً وندعو خالق الخضراء لعله ينبئنا في اسمه، فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس ودعيا الله تعالى، فأنشأ أبو طالب شعراً. فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتا يديه وضمه إلى صدره ضمًّا شديداً فإذا مكتوب فيه.. (البيتان السابقان) فسر أبو طالب سروراً عظيماً، وخرّ ساجداً لله تبارك وتعالى، وعق بعشر من الإبل، وكان اللوح معلقاً في بيت الله الحرام يفخر به بنو هاشم على قريش حتى غلب

الحجاجُ ابنَ الزبير، انتهى كلام العلامة الهمداني. فهل كان ليفتخر الهاشميون بلوح لم يكن مصدره إلهياً ويوضع في جوف الكعبة من قبل البعثة النبوية مروراً بعصر الرسالة والخلفاء وبداية عهد بني أمية!!

فلا زال أحبتي هناك متسع من الوقت لنتصالح مع أنفسنا، ونقر بالحقيقة الماثلة أمامنا والتي لا يمكن إنكارها، أو النكوص منها، أو التمرد عليها، وهي حقيقة إيمان وتقوى أبو طالب عليه السلام الذي صرح به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولهج به لسانه، وأعتقده ضميره، وأقرتها سريرته، فإن خالفنا هذا المنهج، فإننا نخالف قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كذبناه، فنكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو المعصوم عن الخلل والزلل، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من تحته ولا من فوقه. فهل يحب أحدكم أن يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو يغضبه، أو ينتقص من ذريته المقدسة الطاهرة، أو يزدريهم، أو يبهتهم أو يقلل من شأنهم، لسبب أو لآخر. أنا لا أجزم ولا أعتقد، بوجود مسلم يرضى لنفسه أن يكون مغضباً، ومبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو يسعى إلى تكذيبه أو التشكيك في أقواله حول إيمان عمه أبوطالب عليه السلام البتة. من هنا يجب

أن نكون عند حسن ظن بعضنا البعض، وأن نثق ببعضنا البعض، وأن نبتعد عن التشكيك في معتقدات وإيمان بعضنا البعض، أو نسفه أحلامنا، حتى لا نعطي ذريعة لأحد أن يتطفل على ديننا، أو يتدخل فيما بيننا، ليشق صفوفنا، أو يمزق وحدتنا، ويفرق جمعنا، ويبدد شملنا لسببٍ تافه جداً وهو الطعن في صحة إيمان فلان، أو عدم إيمانه، فهل نقيم الدنيا ولا نقعدها، أو نندب حظنا العاثر على أمر غاية في البساطة كهذا. هذا الرجل العظيم رحل من الدنيا راضياً مرضياً، ومضى إلى سبيل ربه محتسباً، مفوضاً أمره إلى الله، بعد أن أدّى ما عليه من واجبات ومسؤوليات اتجاه خالقه ودينه الذي ارتضاه له، ومعتقده وإيمانه، وجاهد في الله ﷻ حق الجهاد، بما في ذلك قناعته العظيمة بجلال وقدر هذا الدين العظيم الذى أتى به محمد ﷺ من خالق السماء، فقدم ما يملك قربات إلى الله تعالى من أجل نصرة هذا الدين، ومناصرة ومؤازرة النبي رسول الله ﷺ.

فهذا الرجل العظيم الذي كان بمثابة الأب الرحيم لمحمد ﷺ، فحينما كان على فراش الموت أوصى قريش بهذه الوصية، قائلاً: «فانظروا أيها الأحبة كيف أن الإنسان

حينما تصفو نفسه وتطمئن إلى بارئها، يقول: «أوصيكم بتعظيم هذا البيت»، فإن فيه مرضاة الرب، وقوام العيش . . . «هذا الرجل لم تصلْه دعوة، بل عاش على الفطرة،» . . . صِلُوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، اتركوا البغي فقد أهلك القرون مِن قبلكم . . . «البغي العدوان، البغي تجاوز الحد، البغي هو الظلم، والظلم ظلماتٌ كما تعلمون. ثم يقول: ﷺ «يا معشر قريش أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرفَ الحياة، وشرف الممات» فإن دعيتُ إلى شيء فأجبْ، أو سُئِلت فأعطِ،أو دعيت إلى حقيقةٍ ناصعةٍ تقبَّل، أو دعيتَ إلى خيرٍ عميمٍ فافعل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، ألا وإني أوصيكم بمحمدٍ خيراً». بالفطرة رأى فتىً صادقاً أميناً يدعو إلى خير، ما جرب عليه قومه كذباً قط. عفةٌ عن المحارم، عفةٌ عن المطامع، نسبٌ عريق كريمٌ بن كريم بن كريم بن كريم، ما عرف النبي ﷺ في سلالته الطاهرة إلا كلَّ محتدٌ عريق ونسبٍ عظيم. قال أبو طالب: «ألا وإني أوصيكم بمحمدٍ خيراً فإنه الأمين في قريش، والصادق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاءنا بأمرٍ،

قبله الجنان، وأنكره اللسان». القلب قَبِلَه، لأن الذي جاء به النبي عليه ﷺ مطابقٌ للفطرة، جاءنا بأمرٍ مطابقٍ للعقل، مطابقٍ للخير، مطابقٍ للحق. ويقول أيضاً: «ألا وإني أوصيكم بمحمدٍ خيراً فإنه الأمين في قريش والصادق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمرٍ، قبله الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشنآن».

هذه حال قريش حينما تلقَّت دعوة النبي، قلبها قبل هذه الدعوة، ولكن لسانها أنكرها، مخافة أن تدع دين آبائها وأجدادها، ويخسر زعماؤها مراكزَهم. وكان أبو طالب عليه السلام يستشرف المستقبل ويقرأه عن كثب، فيقول: «وايم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظَّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، ولكأني به وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها». ما هذا التنبُّؤ؟ ما هذا الإدراك العميق؟ ما هذا الاستشفاف للمستقبل؟ لذلك الصعلوك الذي لا يعرف أحدٌ نسبه إذا عرف الله عزَّ وجل رفعه الله إلى أعلى عليين، وخفض من زها على الناس بنسبه وبماله وبمكانته إلى أسفل سافلين، من هو صهيبٌ؟ من هو بلالٌ؟ من هم هؤلاء

الصحابة الفقراء الصغار الذين كانوا مستضعفين في الأرض؟ كانوا صعاليك العرب كما يقول أهل الجاهلية، هؤلاء حينما آمنوا بالنبي عليه ﷺ، وأجابوا دعوته، وصدَّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم النبي غمرات الموت. «ولكأني به وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها.»، كلماتٌ بليغة بليغة، ودقيقة، وعميقةٌ قالها أبو طالب عليه السلام قبل أن تصعد روحه المقدسة إلى بارئها إلى الرفيق الأعلى.

ويقول «والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يهتدي بهديه إلا سعد، ولو كان في العمر بقية لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي»، ثم وضع عينيه على أهله الأقربين واختصهم بوصيةٍ أخرى، وقال لهم: «وأنتم يا معشر بني هاشم أجيبوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا». هذا كلام أبي طالب، هذا كلام الفطرة، هذا كلام العقل، هذا كلام الإدراك الحصيف، هذا كلام العقل الراجح، ما من حديثٍ يشدني كقول النبي ﷺ: **«أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً»**

وتوفي أبو طالب، وبقيت في خواطر أمامنا ومولانا ومقتدانا ونور حدقتنا، وجواز صراطنا (عليٌ) سم الله عليه

كلمات أبيه، «عظموا الكعبة، صلّوا الرحم، اتركوا البغي، أجيبوا الداعي، كونوا صادقين، عيشوا أمناء»، أي أنه إذا كان من الممكن أن يكون هناك مؤشرٌ للإيمان، وهناك مؤشرٌ لرجاحة العقل، فلا نعدو أبو طالب عليه السلام. وفي أحد الأيام رأى أبو طالب النبي ﷺ يصلي وقد وقف عليٌّ عليه السلام على يمينه، ولمح من بعيدٍ ولده جعفراً فناداه، حتى إذا اقترب منه قال له: «صِلْ جناح ابن عمك، وصلِّ عن يساره». أي إن عليًّا عن يمينه، وأنت عن يساره،. وهذا لعمري درسٌ بليغٌ للآباء، فالأب الذي يرى ابنه قد اهتدى إلى سواء السبيل ينبغي أن يفرح فرحاً لا يقدَّر بثمن، كما ينبغي أن يغتبط لهذا الحدث، وينبغي أن يمتلئ قلبه سروراً، ولو أن أباً عرف مصير ابنه المهتدي لأدرك أنه حاز شرف الدنيا والآخرة، وإنها أكبر ثروةٍ ملَّكه الله إياها، لذلك ورد في الحديث الشريف عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ»** (رواه أصحاب السنن وأحمد).

فأبو طالب الذي يؤمن ويعتقد حتماً جزماً بأن ابن أخيه

محمد بن عبد الله ﷺ صادقٌ أمين، فحينما جاؤوه قريش يطلبون منه أن يقنع ابن أخيه محمداً ﷺ أن يكُفَّ عن دعوته لئلا يسفه آلهة قريش ويسفه أحلامها، قالوا له: يا أبا طالب «إن لك فينا سناً وشرفاً ومنزلةً، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وعيب آلهتنا، وتسفيهها، فإما أن تكُفَّه عنا، أو ننازله وإياك، حتى يهلك منا أحد الفريقين»، فلما عرض على ابن أخيه هذا العرض قال قولته الشهيرة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه». إذ ذكر القرطبي في تفسيره للآية ٦ من سورة ﷺ بلفظ: (لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها). فعندئذٍ قال أبو طالب عليه السلام، تأييداً ومساندة للنبي ﷺ وذوداً ودفاعاً عنه: «يا بن أخي افعل ما بدا لك، واللهِ لن يصلوا إليك»، فكان عليه السلام من أشد الذين حموا النبي ﷺ.

وذات مرةٍ رأى أبو طالب النبيَّ ﷺ كئيباً حزيناً، فتحرَّى الأمر، فعلم أن قريشاً قد آذته، وبالغت في إيقاع

الأذى به، فنهض من فوره حاملاً سيفه بيمينه، متأبطاً ذراع النبي بيساره، حتى إذا وقف على الذين آذوه، ورآهم يتململون حين بَصُروا به مقبلاً، صاح فيهم: «والذي يؤمن به محمدٌ لئن قام منكم أحدٌ لأعالجنه بسيفي». نعم، هذا هو أبوطالب عليه السلام الذي ترك بصماته واضحة وجلية، وبصم بالعشر الأنامل، وراهن على موضوع إيمانه القوي، وعزمه الثاقب على أن لا يترك هذه الدنيا إلا مؤمن من العيار الثقيل، وقد فعلها باستحقاق، ونجاح باهر، حيث حاز والله قصب السبق، والجائزة الكبرى في تفوقه على أقرانه في الإيمان بالله عز وجل، والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وآله. فإني أعتقد أن الأدلة التي سقتها في هذا الخطاب لها مدلول قوى جداً ومؤثر حول إيمان أبو طالب عليه السلام، وثباته على الهدى ودين الحق، إيماناً راسخاً لم يتزلزل، ولم يتبدل. فالسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يولد حياً. اللهم فاشهد، اللهم إني بلغت لمن ألقي السمع وهو شهيد. «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله الميامين وسلم تسليماً كثيراً.

المحتويات

